المشهد السياسي

المشهد الفلسطيني

حالة الشهيد أحمد نصر جرار.. حلقة في سلسلة متصلة

مركز رؤية للتنمية السياسية

مركز رؤية للتنمية السياسية

2018

العنوان: حالة الشهيد أحمد نصر جرار.. حلقة في سلسلة متصلة

السلسلة: المشهد الفلسطيني

الكاتب: وحدة الدراسات والبحوث

الشهر/ السنة: مارس /2018

جميع الحقوق محفوظة لمركز رؤية للتنمية السياسية © 2018

يسعى مركز رؤية للتنمية السياسية أن يكون مرجعية مختصة في قضايا التنمية السياسية وصناعة القرار، ومساهماً في تعزيز قيم الديمقراطية والتعددية والاعتدال والتسامح. ويسعى المركز إلى تنمية القدرات والإمكانيات السياسية لدى الأفراد والجماعات والأحزاب في المنطقة، بما يخدم بناء مجتمعات ودول مدنية وديمقراطية قائمة على مبادئ حق تقرير المصير والحرية، بما يساعد على نبذ العنف والتطرف، والمساهمة في إنجاز الشعوب لحقوقها السياسية والمدنية لاسيما الشعب الفلسطيني.

ويهدف المركز إلى مساعدة الكفاءات العلمية والبحثية في مجال العلوم الإنسانية في تطوير مهاراتها و وتنميتها، وتوفير الدعم السياسي والأكاديمي للفلسطينيين، ورعاية الطاقات الثقافية، وتنمية المهارات السياسية لدى الشباب. ويسعى إلى فهم قضايا المجتمع المدني، وتمكين المرأة من خلال أدوات البحث العلمي في الحقول الاجتماعية والإنسانية والسياسية.

Vision Center for Political Development

İkitelli Organize San. Bölgesi Mah. Hürriyet Bulvarı Enkoop Sanayi Sitesi No:70/33

Başakşehir / Istanbul.

Tel: +90 2126310107

www.vision-pd.org/

مقدمة

في التاسع من كانون ثاني/ يناير 2018، قُتل مستوطن إسرائيلي في عملية وُصفت بالنوعية، وذلك قرب مستوطنة "حفات جلعاد"، جنوب مدينة نابلس شماليّ الضفة الغربية المحتلة.[1] ويُعدّ المستوطن القتيل أحد مؤسسي البؤرة الاستيطانية التي قُتل عندها. بعد تنفيذ العملية، بدأت قوات الاحتلال بتنفيذ حملة بحث واسعة، تتجه من مكان العملية إلى مدينة جنين شمالًا.

وأثناء عمليات البحث والمداهمة، اقتحمت قوات الاحتلال في الثامن عشر من كانون ثاني/ يناير الماضي مدينة جنين، مستهدفة بشكل مركّز بيوت عائلة جرار، مما أدى إلى استشهاد الشاب أحمد إسماعيل جرار (31 عامًا) في اشتباك مسلح.[2] فيما بعد، تبين أن الاحتلال يلاحق أحمد نصر جرار (24 عامًا)، نجل الشهيد نصر جرار، أحد قادة كتائب القسام، الذي استشهد في مطلع الانتفاضة الثانية عام 2000.

دلّت تلك المداهمة على تمكّن الاحتلال من امتلاك تصوّر واضح حول هويّة منفذي العملية، بعد أقلّ من عشرة أيام على تنفيذها، وهو ما يشير إلى الظروف المعقّدة التي تعمل بها المقاومة في الضفة الغربية. وبينما فشل الاحتلال في هذه المداهمة في اعتقال أو اغتيال أحمد نصر جرار، المتهم الرئيس في تنفيذ العملية، تمكنت قوات الاحتلال من اغتياله بعد مداهمة لبلدة اليامون في محافظة جنين، فجر السادس من شباط/ فبراير الماضي.

تُقدّم هذه الورقة قراءة للسياق الذي جاءت فيه حالة الشهيد أحمد نصر جرار، بالنسبة للظروف السياسية والأمنية في الضفة الغربية، ومناقشة إنْ كانت هذه الحالة مجرد طفرة عابرة، أم أنها حلقة في سلسلة أوسع وأكثر امتدادًا، وتنطوي على دلالات أكبر.

---

[1] مقتل مستوطن بطلق ناري قرب نابلس، موقع الجزيرة نت، 9 كانون ثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/Fq5wXk

[2] الشهيد أحمد إسماعيل جرار ضابط بالأجهزة الأمنية الفلسطينية، موقع صحيفة عرب 48، 18 كانون ثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/mzE48L

حلقة في سلسلة..

استعراض لواقع المقاومة في الضفة الغربية منذ عام 2014 إلى مطلع عام 2018

شكّل عام 2014 مرحلة مفصلية في واقع المقاومة في الضفة الغربية. فبينما سجّلت الإحصائيات 320 عملًا مقاوِمًا في الضفة الغربية خلال عام 2011،[3] فقد سجلت ارتفاعًا إلى 578 عملًا مقاوِمًا خلال عام 2012، ثم إلى 793 خلال عام 2013، وأخيرًا إلى 3699 عملًا مقاوِمًا خلال عام 2014.[4]

يبدو أن ازدياد أعمال المقاومة خلال عام 2014، يعود إلى أن هذا العام تميز بأحداث كبيرة، أهمها إضراب الأسرى الإداريين، الذي استمر مدة شهرين، بدأت من نيسان/ إبريل وحتى حزيران/ يونيو، والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (حرب العصف المأكول حسب تسمية حركة حماس، والجرف الصامد حسب التسمية الإسرائيلية)، وأسر مجموعة تنتمي لحركة حماس لثلاثة مستوطنين في مدينة الخليل في حزيران/ يونيو، ثم قتْلهم، وقيام المستوطنين بحرق الطفل محمد أبو خضير في القدس في تموز/ يوليو، وكذلك مقتل ضابط إسرائيلي في نيسان/ إبريل، في عملية إطلاق نار قرب بلدة ترقوميا في محافظة الخليل.[5]

بعد أسر حركة حماس للمستوطنين الثلاثة في الخليل بداية حزيران/ يونيو 2014، شرع الاحتلال بعمليات مداهمة واسعة في الضفة الغربية كلّها، وهو ما أتاح المجال لتصاعد مظاهر الاحتكاك الاحتجاجي بين الفلسطينيين وقوات الاحتلال، فاتسعت المواجهات لتأخذ شكل الهبّة الشعبية بعد حرق المستوطنين للطفل محمد أبو خضير (16 عامًا) في القدس، حيث بلغت أعمال المقاومة في شهر تموز وحده 886 عملًا مقاوِمًا.[6]

أمّا أثر حرب "العصف المأكول"، فقد ظهرت في نتائج انتخابات جامعة بيرزيت، وفوز الكتلة الإسلامية (ذراع حماس الطلابية) في تلك الانتخابات لعامين متتاليين، وعلى نحو غير مسبوق، لا من جهة الفوز، وإنما من جهة حجم النتائج وطبيعتها، وهو ما دلّ في المستوى الوطني العام، على أن تلك الحرب شكّلت رافعة معنوية للفلسطينيين في الضفّة الغربية، عوّضت، وإن نسبيًا، عن غياب منابر التعبئة الوطنية، وعن غياب فصائل المقاومة، التي تراجع حضورها بفعل استهداف الاحتلال، وظروف الانقسام، وسياسات السلطة الفلسطينية.[7]

---

[3] يُقصد بالأعمال المقاوِمة في هذه الإحصائية، كل أشكال مواجهة الاحتلال، سواء المواجهات الشعبية، أو رمي الزجاجات الحارقة، أو عمليات إطلاق النار، أو العمليات الفردية كالطعن والدعس، وغيرها.

[4] حصاد فلسطين 2014، شبكة فلسطين للحوار، كانون ثاني/ يناير 2015، ص5.

[5] المصدر السابق.

[6] المصدر السابق.

[7] ساري عرابي، انتخابات بيرزيت.. رسائل متعددة في اتجاهات مختلفة، موقع الجزيرة نت، 2 أيار/ مايو 2016، https://goo.gl/MEFxjJ

تصاعدت أعمال المقاومة خلال عام 2015، وارتفعت إلى 5383 عملًا مقاومًا، منها 123 عملية إطلاق نار، و156 عملية طعن، و46 عملية دعس[8]، إضافة إلى إلقاء الزجاجات الحارقة، وغيرها من الأعمال التي تُصنف في دائرة أعمال المقاومة الشعبية، أو المسلحة. وبينما كان عدد الأسرى الإداريين قد انخفض في عامي 2012 و2013، إلا أنه ارتفع في عامي 2014 و2015، كما ارتفعت أعداد الشهداء، وأعداد القتلى الإسرائيليين،[9] وهو ما يعني أن الضفة الغربية، والقدس في القلب منها، كانت تعيش حالة كفاحية متصلة، وإن لم ترق إلى مستوى مفهوم الانتفاضة، الذي خبره الفلسطينيون سابقًا مرتين.

وإذا كانت هبّة عام 2014 قد فجرتها حادثة إحراق الطفل الفلسطيني محمد أبو خضير من قبل المستوطنين، فإنّ اعتداءات المستوطنين قد طالت عائلة كاملة هذه المرة، وهي الحادثة التي جرت في بلدة دوما قرب نابلس، في الحادي والثلاثين من تموز/ يوليو، والتي استشهد فيها سعد دوابشة، وزوجته رهام، ورضيعهما عليّ، لينجو فقط طفلهما أحمد، الذي أصيب بجروح وحروق بالغة.[10]

وقد جاء رد الفعل الفلسطيني في الأول من تشرين أول/ أكتوبر2015، وبكمين مسلح نفذته مجموعة فلسطينية قرب بلدة بيت فوريك في محافظة نابلس، وبالقرب من مستوطنة "إيتمار"، انتهى الكمين بمقتل ضابط احتياط وزوجته، وقد اعتقلت المجموعة لاحقًا، وتبين أن أعضاءها ينتمون لحركة حماس.[11] وبعد ذلك بيومين، نفّذ الشهيد مهند الحلبي (20 عامًا)، عملية طعن في القدس، أسفرت عن مقتل إسرائيليين اثنين، لتنفجر بعدها ما عُرف بـ "هبّة القدس".[12] وبهذا، سجل شهر تشرين أول/ أكتوبر من عام 2015 أعلى عدد من عمليات المقاومة خلال العام المذكور.[13]

يمكن القول إن أعمال المقاومة خلال عام 2016 حافظت على وتيرتها، فقد بلغت خلاله 4758 عملًا مقاومًا، كان أكثرها في الشهور الثلاثة الأولى من العام،[14] وهو ما يعني أن "هبة القدس" حافظت على استمراريتها، ولو لفترة وجيزة. وقد تميز هذا العام بعدد كبير نسبيًا من العمليات النوعية، سواء التي يقف خلفها أفراد، أو خلايا منظمة.[15]

---

[8] حصاد فلسطين 2015.. تقرير بالأرقام عن أهم أحداث فلسطين خلال عام 2015، شبكة فلسطين للحوار، كانون الثاني/ يناير 2016، ص5.

[9] انظر المصدر السابق.

[10] الذكرى السنوية الأولى لجريمة حرق عائلة دوابشة، موقع صحيفة الحياة الجديدة، 31 تموز/ يوليو 2016، https://goo.gl/vX1obj

[11] عملية إيتمار، موقع كتائب القسام، د ت، https://goo.gl/sXnVJA

[12] في ذكراها الثانية.. عملية الحلبي مفجّرة انتفاضة السكاكين، موقع سرايا القدس، 4 تشرين ثاني/ أكتوبر 2017، https://goo.gl/GVX3aF

[13] حصاد فلسطين 2015.. تقرير بالأرقام عن أهم أحداث فلسطين خلال العام 2015، مصدر سابق.

[14] حصاد فلسطين 2016.. تقرير بالأرقام عن أهم أحداث فلسطين، شبكة فلسطين للحوار، كانون الثاني/ يناير 2017، ص6 وص8.

[15] انظر بعض أهم تلك العمليات في المصدر السابق، ص10.

وإضافة إلى الأحداث داخل الأراضي المحتلة، قام الاحتلال باغتيال الكادر في الجبهة الشعبية عمر النايف، داخل السفارة الفلسطينية في بلغاريا، والمهندس التونسي محمد الزواري، الكادر في صفوف كتائب القسام.[16]

استمرت أعمال المقاومة خلال عام 2017 بالوتيرة نفسها، مع ارتفاع ملحوظ في عددها، فقد بلغت 5182 عملية،[17] كانت بدايتها عملية دعس في القدس أدّت إلى مقتل أربعة إسرائيليين. كما استشهد في هذا العام الشاب الفلسطيني باسل الأعرج (33 عامًا)، بعد مطاردة من قبل قوات الاحتلال، واعتقال لدى السلطة الفلسطينية. كما اغتيل في هذا العام أيضًا مازن فقها (38 عامًا)، وهو كادر من حركة حماس، مبعد إلى قطاع غزّة ضمن صفقة تبادل شاليط (وفاء الأحرار).

إلا أنّ أبرز الأحداث التي أجّجت أعمال المقاومة في الضفة الغربية والقدس، كانت عملية طعن في مستوطنة "حلميش"، نفّذها شاب فلسطيني من بلدة كوبر في محافظة رام الله، وأدّت إلى مقتل ثلاثة مستوطنين إسرائيليين، واعتقل الشاب على إثرها. وكذلك العملية التي نفّذها ثلاثة شبان من مدينة أم الفحم داخل ساحات المسجد الأقصى، وأدّت إلى مقتل شرطيين إسرائيليين، مما دفع الاحتلال إلى إغلاق بوابات المسجد الأقصى، والشروع في تركيب بوابات إلكترونية عليها، وهو ما فجّر هبّة مقدسية، واعتصامات مستمرة على بوابات المسجد الأقصى مدة 14 يومًا،[18] انتهت بانتصار حقّقه المقدسيون، وأجبر الاحتلال على تفكيك تلك البوابات.

وقد تصاعدت أعمال المقاومة الشعبية، لتصل ذروتها في الشهر الأخير من العام، وتبلغ أكثر من 1000 عمل مقاوِم،[19] وذلك بعد إعلان دونلاد ترمب، رئيس الولايات المتحدة الأميركية، في السادس من كانون ثاني/ ديسمبر، القدس عاصمة لـ "إسرائيل"، وتوقيعه قرار نقل سفارة بلاده من "تل أبيب" إلى القدس.[20]

وبهذا يتبين أن عملية الشهيد أحمد نصر جرار، بما صاحبها طوال حملة المطاردة التي شنّها الاحتلال، وحتى استشهاده، لا تتصل بأحداث الشهر الأخير من عام 2017 فحسب، وإنما، وبالإضافة إلى ذلك، هي حلقة من سلسلة هبّات فلسطينية، لم تزل مستمرة منذ أواسط عام 2014.

---

[16] المصدر السابق، ص13.

[17] حصاد فلسطين.. تقرير بالأرقام عن أهم أحداث فلسطين خلال عام 2017، شبكة فلسطين للحوار، كانون الثاني/ يناير 2018، ص6.

[18] انظر أهم أحداث هذا العام في المصدر السابق، ص4- 5.

[19] المصدر السابق، ص6.

[20] بخصوص تداعيات إعلان ترمب سياسيًّا وميدانيًّا، راجع الورقة التي أصدرها مركز رؤية للتنمية السياسية:
إعلان ترمب بخصوص القدس.. الفرس المتاحة والخطوات المترددة، موقع مركز رؤية للتنمية السياسية، 28 كانون أول/ ديسمبر 2018، https://goo.gl/iPk86e

عملية جرّار.. كثافة حالة

بهذا الاستعراض، يتضح أن عملية الشهيد أحمد نصر جرار، وما تبعها من مطاردة وتفاعل جماهيري، تأتي في سياقين، أحدهما عام، والآخر خاص. أمّا العام، فهو سلسلة الهبّات وأعمال المقاومة المستمرة منذ أواسط عام 2014. وأمّا الخاص، فهو ردود الأفعال الجماهيرية الفلسطينية، على إعلان الرئيس الأمريكي ترمب القدس عاصمة لـ "إسرائيل".

وفي إطار السياسة التي تتبعها حركة حماس، وذراعها العسكري كتائب القسام، فإنّها لم تتبنّ العملية، ولم تعلن عن الهوية التنظيمية لمنفذيها، إلا بعد استشهاد قائد المجموعة أحمد نصر جرار.[21] ومن الواضح أن هذه السياسة تنتهجها حركة حماس في السنوات الأخيرة، على الأقل منذ عملية "إيتمار"، وما تلاها من عمليات، حيث لم تتضح الهوية التنظيمية لمنفّذيها، إلا بعد اعتقالهم أو استشهادهم، كما في تبنيها للشهيد محمد الفقيه، الذي أعلنت الحركة بعد استشهاده، أنه كان أحد عناصر القسام، وتبنت العمليات التي نفذها.[22]

وإذا كان امتناع حركة حماس عن تبني العملية، يمنح منفذيها فرصة للاختفاء، فإنّ قصر عمر الخلايا، والتي منها خلية الشهيد جرار، يشير إلى الصعوبات الأمنية البالغة، التي تعيق العمل المقاوم في الضفة الغربية. فقد تمكنت قوات الاحتلال وأجهزتها الأمنية، من اكتشاف مجموعة جرار سريعًا، ومداهمة مدينة جنين بحثًا عن أفراد المجموعة،بعد أقل من عشرة أيام، في عملية أمنية متصاعدة.

استعانت أجهزة الاحتلال بالكاميرات المنصوبة من قبلها على الطرق الالتفافية، كما أنها قامت بجمع الكاميرات التي ينصبها الفلسطينيون على مداخل بيوتهم ومتاجرهم، ولا سيما الكاميرات في شارع جنين/ نابلس الرئيس، وبعض الشوارع الفرعية والمناطق القريبة، وصولًا إلى بلدة اليامون غربًا، لتجد قوات الاحتلال أثناء عملية البحث سيارة محترقة، قيل إنّها تعود للخلية المنفذة، أحرقتها لإخفاء معالمها.[23]

وإضافة إلى الجهود الأمنية الاستخبارية الخاصّة بقوّات الاحتلال، اتهمت كتائب القسام في شريط مصوّر بثّته على موقعها الإلكتروني، السلطة الفلسطينية بتسليم الاحتلال طرف الخيط الذي أدّى إلى اكتشاف المجموعة.[24] وحسب ما نقلته صحيفة فلسطين عن صفحة النائب المفصول من حركة فتح محمد دحلان، فإنّ ما قالت عنها "وثيقة سريّة"، كشفت عن تتبع الأجهزة الأمنية الفلسطينية لتحركات الشهيد أحمد جرار، من خلال التنصت على دوائر المقربين منه، ومتابعة تسجيلات الكاميرات في المنطقة التي تخفّى

---

[21] انظر تبني كتائب القسام للشهيد أحمد جرّار:
كتائب القسام تزف شهيدها البطل أحمد نصر جرار قائد الخلية التي نفذت عملية نابلس البطولية قبل أسابيع، موقع كتائب القسام، 6 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/588sBJ

[22] بيان عسكري صادر عن كتائب الشهيد عز الدين القسام.. القساميّ الفقيه.. بطل عملية عتنائيل شهيدًا في اشتباك مسلح بطولي، موقع كتائب القسام، 27 تموز/ يوليو 2016، https://goo.gl/5pG2sg

[23] معركة جنين: هل كان القتل بكاميرا فلسطينية ورصاصة إسرائيلية؟، موقع صحيفة السبيل الأردنية، 18 كانون الثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/wYQMPC

[24] موشن جرافيك.. الشهيد القسامي / أحمد جرار، موقع كتائب القسام، 7 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/5njA16

فيها، ورصد بيته وتحركاته، وتشكيل غرفة عمليات لهذا الغرض، ورسم خرائط لحركته، وهو الأمر الذي تكثف بعد فشل الاحتلال في اغتياله.[25]

وكانت قوات الاحتلال قد فشلت في اعتقال الشهيد أحمد نصر جرار، أو اغتياله، أثناء اقتحامها مدينة جنين في الثامن عشر من شباط/ فبراير، حيث استهدفت بيوت عائلة جرار، فاستشهد الشاب أحمد إسماعيل جرار، أحد أبناء عمومته، والذي قيل إنّه أحد مساعدي الشهيد أحمد نصر، وأحمد إسماعيل هو أحد العاملين في الأجهزة الأمنية الفلسطينية،[26] وكان قد اعتقل لدى الأجهزة ذاتها، وتعرّض لتعذيب شديد لدى هذه الأجهزة بتهمة حيازة السلاح، وشبهة العلاقة مع أبناء عمومته.[27]

لقد تحوّلت حالة الشهيد أحمد نصر جرار طوال فترة مطاردته، إلى حالة من الإلهام للجماهير الفلسطينية، التي تتبعت أخباره، ورصدت الحملة الإسرائيلية لاعتقاله، كما تحول إلى أيقونة عربية،[28] وعلى نحو كشف عن تعطش الجماهير الفلسطينية إلى نموذج الفدائي المطارد، الذي خبرته طوال عقود، وإلى استمرار تعلّق العرب بنموذج المقاوم الفلسطيني، وهو ما تجلّى باهتمام كبريات القنوات التلفزيونية، والمواقع الإخبارية، في متابعة حدث استشهاد أحمد نصر جرار.

وإضافة إلى الأحداث المتعلقة بعملية الشهيد أحمد نصر جرار وتداعياتها، فقد تضمنت تلك الفترة الزمنية، عددًا آخر من الحوادث التي أربكت الاحتلال، وأبرزها عملية طعن نُفذت في الخامس من شباط/ فبراير قرب مستوطنة "أرئيل"، وأدت إلى مقتل مستوطن،[29] وتبين أنّ منفذها هو عبد الكريم عادل عاصي من مدينة يافا، ويحمل الهوية الإسرائيلية،[30] التي اكتسبها من والدته، بينما والده من سكان نابلس.[31] وفي حين تمكن عبد الكريم من الانسحاب من مكان العملية، فقد شرعت قوات الاحتلال في البحث عنه.

وفي الفترة نفسها أيضًا، اكتشفت الأجهزة الأمنية الفلسطينية عبوات ناسفة شديدة الانفجار، على جانب طريق تسلكه قوات الاحتلال، ويربط بين بلدتي علار وعتيل قرب طولكرم،[32] وقد اقتحمت قوات الاحتلال بلدة علار بحثًا عن زارعي العبوات، وشنت الأجهزة الأمنية الفلسطينية حملة بحث في بلدتي علار وصيدا، واعتقلت في هذا السياق عددًا من الشبان، من بينهم أسرى محررون.[33]

---

[25] وثائق سرية تكشف تورط "أمن السلطة" في اغتيال أحمد جرار، موقع صحيفة فلسطين، 17 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/5Lsr1R

[26] الشهيد أحمد إسماعيل جرار ضابط بالأجهزة الأمنية الفلسطينية، مصدر سابق.

[27] ما حكاية مسدس الشهيد أحمد إسماعيل جرار؟، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 22 كانون ثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/ZsN3UX

[28] ساري عرابي، أحمد نصر جرّار.. أزمة الكتابة عن شهيد، موقع الجزيرة نت، 11 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/pCviSR

[29] منفذها نجح في الفرار: مقتل مستوطن في عملية طعن، موقع صحيفة عرب 48، 5 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/yjZDoW

[30] الاحتلال يكشف هوية منفذ عملية سلفيت، موقع وكالة معا، 5 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/VcKRWs

[31] تقرير: والدة منفذ عملية الطعن بمستوطنة أريئيل عربية من إسرائيل، موقع I24، 5 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/GXQ8qD

[32] طولكرم: الأمن الفلسطيني يفكك عبوة ناسفة بطريق يسلكه الاحتلال، صحيفة عرب 48، 27 كانون ثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/D4cYJB

[33] الاحتلال يقتحم علار بعد إبطال أمن السلطة عبوات ناسفة، موقع صحيفة عرب48، 29 كانون ثاني/ يناير 2018، https://goo.gl/yaR2G2

لقد شكلت هذه الحوادث قلقًا لدى سلطات الاحتلال، وهو ما دفع برئيس أركان جيش الاحتلال، الجنرال غادي أيزنكوت، إلى اتخاذ قرار بدفع قوات إضافية إلى الضفة الغربية المحتلة، مع زيادة ثلاث كتائب، وذلك خشية من تصاعد الأحداث.[٣٤]

وبسبب مستوى التحدي الذي مثلته حالة الشهيد أحمد نصر جرار، وما رافقها من حوادث منفصلة، عبّرت مستويات عليا متعددة في دولة الاحتلال عن ارتياحها لاغتيال الشهيد جرار، كما في تصريحات لرئيس الحكومة نتنياهو، ووزير حربه ليبرمان، ونائبه إيلي بن دهان، ووزير الأمن الداخلي جلعاد أردان، ورئيس دولة الاحتلال رؤوبين ريفلين.[٣٥] فقد اهتمت تصريحات هؤلاء، بإبراز "إنجاز" قوات الاحتلال وأجهزة أمنها في الوصول إلى الشهيد جرار، والتأكيد على أن الاحتلال سيصل إلى عبد الكريم عاصي منفذ عملية "أرئيل"، الأمر الذي يكشف حجم الضغط الذي تعانيه دولة الاحتلال، وخشيتها من تصاعد الأحداث، لا سيما وأن تقديرات الجيش الإسرائيلي التي أصدرها مطلع عام 2018، ذهبت إلى أن الصراع مع الفلسطينيين، يشكّل المرتبة الثانية من حيث التهديد العسكري لـ "إسرائيل".[٣٦]

وقد استقبلت والدة الشهيد أحمد نصر جرار خبر استشهاده بقدر كبير من رباطة الجأش، مستحضرة أنه ابن الشهيد نصر جرار، وقائلة إنه "بطل ابن بطل وشهيد ابن شهيد.. وأنا مبتسمة وزوجي مبتسم وابني مبتسم، وهم أحياء عند ربهم يرزقون".[٣٧] كما أقيمت عدة بيوت عزاء في الشهيد أحمد نصر جرار، في كل من جنين وغزة[٣٨] وعمان[٣٩] ودمشق[٤٠]. وفي العزاء الذي أقيم في مدينة عمان بالأردن، حاول المعزّون منع عزام الأحمد، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، من إلقاء كلمته، احتجاجًا منهم على سياسة التنسيق الأمني التي تنتهجها السلطة،[٤١] خلافًا لمقررات المجلس المركزي الأخيرة.[٤٢]

في هذه الأثناء، دخلت دورية من قوات الاحتلال بالخطأ إلى مدينة جنين، وهو ما دفع الشبان الفلسطينيين إلى ضرب جنودها، وأخذ سلاحهم.[٤٣] الأمر الذي يذكّر بحوادث مشابهة في مطلع الانتفاضة الثانية عام 2000، ويشير إلى حالة من الاحتقان، تتصل بالظرف المستمر من أواسط عام 2014، وبحالة الإلهام التي شكلها

---

[34] إسرائيل تخشى "مهندساً جديداً" في الضفة الغربية، موقع صحيفة العربي الجديد، 10 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/VvyUGL

[35] أبرز ردود أفعال قيادة الاحتلال على اغتيال المطارد "جرار"، موقع صحيفة الرسالة، 6 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/BaM51f

[36] إسرائيل تخشى "مهندسا جديدا" في الضفة الغربية، مصدر سابق.

[37] برنامج لقاء اليوم على قناة الجزيرة الفضائية، موقع الجزيرة نت، 15 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/wFngDT

[38] محمد عاطف المصري، بيت عزاء في غزة للشهيد أحمد نصر جرار، موقع إذاعة صوت الأسرى، 8 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/Vp6fCa

[39] بيت عزاء للشهيد البطل أحمد نصر جرار في الأردن، موقع السوسنة، 6 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/48JaGk

[40] بيت عزاء للشهيد أحمد نصر جرار في دمشق، موقع وكالة فلسطين اليوم، 8 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/WzA8hG

[41] احتجاج على كلمة عزام الأحمد بعزاء الشهيد جرار في عمان، موقع عربي21، 9 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/FwsHkY

[42] عن قرارات المجلس المركزي الأخيرة انظر إصدار مركز رؤية للتنمية السياسية: قرارات المجلس المركزي بخصوص إعلان ترمب.. ملابساتها وآفاقها، موقع مركز رؤية للتنمية السياسية، 5 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/c7Ba6L

[43] فلسطينيون يبرحون جنديين إسرائيليين ضربا في جنين، موقع عربي21، 12 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/TdRqGo

الشهيد أحمد نصر جرار. يُذكر في هذا الصدد أن السلطة الفلسطينية، كما أكد الاحتلال، أعادت السلاح الذي اختطفه الشبان الفلسطينيون من الجنود الإسرائيليين في الحادثة المذكورة.[٤٤]

تلخيص الحالة

لم تكن عملية الشهيد أحمد جرار، بتبعاتها وما زامنها من أحداث منفصلة، طفرة عابرة، وإنما اتصلت بالهبّات الفلسطينية المستمرة منذ أواسط عام 2014، كما اتصلت بالفعاليات الفلسطينية الميدانية، التي جاءت ردًا على إعلان الرئيس الأميركي بخصوص القدس.

وقد تكثّفت في حالة الشهيد جرّار، وفي الأحداث المرافقة لها، السمات الخاصة التي ميزت الهبّات الفلسطينية المستمرة منذ أربع سنوات. فقد تداخلت المحاولات الفردية والشعبية مع المحاولات التنظيمية، وهو يعكس رغبة بعض فصائل المقاومة الفلسطينية، ولا سيما حركة حماس، في إعادة بناء نفسها في الضفة الغربية، وسعيها لتعزيز المقاومة فيها.[٤٥] كما يعكس من جهة أخرى تصاعد الروح المعنوية النضالية للجماهير الفلسطينية.

لقد أدّت الأعمال التي وقفت خلفها خلايا تنتمي تنظيميًا لإحدى فصائل المقاومة، إلى تفجير الأحداث، أو تعزيزها، كما في عمليات أسر المستوطنين الثلاثة في الضفة الغربية في تموز/ يوليو 2014، وعملية "إيتمار" في تشرين أول/ أكتوبر 2015، هذا فضلًا عن بعض الخلايا التي ما تزال دوافعها مجهولة، إنْ كانت تنظيمية أو فردية، مثل العملية المسلحة التي نفّذها ثلاثة شبان من أم الفحم في تموز/ يوليو 2017. بينما في مطلع عام 2018، يمكن ملاحظة التزامن بين عملية الشهيد أحمد نصر جرار، ذات الدوافع التنظيمية، وعملية عبد الكريم عاصي ذات الدوافع الفردية.

إن سرعة اعتبار الشهيد أحمد نصر جرار رمزًا وطنيًا، والتفاعل الهائل للجماهير الفلسطينية معه، لم تكن حالة خاصة، وإنما هي واحدة من السمات المستمرة منذ انفجار الهبات المتتابعة قبل أقل من أربع سنوات، وهنا يمكن استحضار حالة الشهيد باسل الأعرج، والذي مثّل حالة من الجمع ما بين الدوافع التنظيمية والفردية، فقد كانت مجموعته خارج السياقات التنظيمية التقليدية، وحالة الشهيد نشأت ملحم من فلسطين المحتلة عام 1948، وحالة الشهيد محمد الفقيه.

تدلّ سرعة الترميز، أي اعتبار الرموز، والتفاعل معها، على تحولات عميقة، وإن بطيئة، في الروح المعنوية للجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية، وعلى نحو يأخذ في الخروج من الصورة التي رسمتها نتائج الاجتياح الإسرائيلي أثناء انتفاضة الأقصى، والسياسات الأمنية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي انتهجتها السلطة الفلسطينية، وخاصة ما بعد الانقسام، وانتهت إلى إقصاء فصائل المقاومة عن العمل العام في الضفة الغربية، وخلق أجندة جديدة لا تتعلق بالصراع مع الاحتلال، وإغراق الجماهير الفلسطينية

---

[44] الاحتلال يزعم: السلطة أعادت قطعة السلاح التي تم الاستيلاء عليها في جنين، موقع وكالة سما، 13 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/88F2Mb

[45] إسرائيل تخشى "مهندسا جديدا" في الضفة الغربية، مصدر سابق.

بأنماط استهلاكية تتعارض مع واجبات الصراع، وهو ما أفضى في النتيجة إلى افتقاد الرموز النضالية في الضفة الغربية، كما تقول بعض الآراء التي اهتمت بتحليل سرعة ترميز النماذج الكفاحية، التي تبزغ سريعًا وتختفي سريعًا.[٤٦]

لكن تلك التحولات باتجاه الخروج من المشهد الذي ساد بعد انتهاء انتفاضة الأقصى، وتعزز بعد الانقسام الفلسطيني، تصنعها الفئة العمرية الأصغر سنًا، التي لم تشارك في الانتفاضة الثانية، وبعض المنتمين لفصائل المقاومة والمتأثرين بها. بينما لا تزال "الحاضنة المجتمعية" الكبرى تستصعب الخروج من ذلك المشهد، في واحدة من الأسباب التي تُصعّب العمل المقاوم، وتؤدّي، بتداخلها مع "التنسيق الأمني"، إلى تقصير عمر الخلايا الفلسطينية، كما يقول المراقبون.[٤٧]

هنا تكتمل ملامح المشهد: أسباب اجتماعية واقتصادية منبثقة عن سياسات السلطة، وأسباب أمنية أدّت إلى غياب فصائل المقاومة، ومنابر التعبئة الوطنية، وخبرة أمنية اكتسبها الاحتلال منذ انتفاضة الأقصى، ونتائج جيوسياسية ناجمة عن اتفاقية أوسلو، وعن إعادة انتشار قوات الاحتلال في الضفة الغربية.

يحول هذا المشهد دون قدرة الجماهير الفلسطينية على ابتداع أدوات شعبية نضالية، قابلة للاستمرار، وقادرة على استنزاف الاحتلال، ولا سيما مع غياب المشهد التنظيمي الكفيل بتطوير أي هبّة فلسطينية، إذ تضطر الجماهير للزحف نحو نقاط الاحتكاك، والاشتباك مع جنود الاحتلال، وهي عملية غير مجدية، وغير قابلة للاستمرار، وتفتقر إلى شروط استنزاف الاحتلال المطلوبة في أيّ مواجهة معه.[٤٨]

ومما يُضيّق من دائرة انتشار المقاومة الشعبية، وجود السلطة الفلسطينية بصفتها الممثل السياسي للفلسطينيين، الأمر الذي يُفقد الجماهير الفلسطينية بعض أدوات الكفاح السياسي، التي أتيحت لهم في الانتفاضة الأولى، ومكّنت شرائح واسعة من الفئات العمرية كلها، من الاشتراك في تلك الانتفاضة. وهنا تجدر الإشارة إلى تراجع فعالية العصيان المدني الذي كان يستهدف الاحتلال في الانتفاضة الأولى، ويُشرك كل جماهير الشعب في تلك الانتفاضة، وهذه الإشكالية تستدعي تحولاتٍ في الموقف لدى قيادة السلطة، وهو الأمر الذي لم يحصل.[٤٩]

وإضافة إلى السمات سابقة الذكر، فإنّ الأحداث التي رافقت حالة الشهيد أحمد نصر جرار، فيها ملامح عامة، وإن كانت لا تزال ضعيفة، تجمع بين الهبّات المستمرة منذ أربع سنوات. فقد استشهد في مداهمات البحث عن أحمد نصر جرار، أحد أبناء عمومته، وهو أحمد إسماعيل جرار، الذي يعمل في الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وهو ما يذكّر بالشهيد مازن حسن عربية، ضابط المخابرات الفلسطينية، الذي استشهد على

---

[46] براء ريان، أحمد جرار.. فتى أضحى جيشا، موقع الجزيرة نت، 5 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/tCDsFV

[47] أحمد جرار ورفاق المقاومة.. درب الكرّ والفرّ، موقع الجزيرة نت، 6 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/NyMDDr

[48] عقبات تعرقل انتفاضة جديدة في الضفة الغربية، صحيفة العربي الجديد، 24 شباط/ فبراير 2018، https://goo.gl/7W5mpE

[49] المصدر السابق.

حاجز بلدة حزما بعد إطلاقه النار على قوات الاحتلال،[50] والشهيد أمجد السكري، الذي يعمل في الشرطة الفلسطينية، والذي استشهد عند حاجز "بيت إيل" بعد إطلاقه النار على جنود الحاجز.[51]

ومن الملامح العامة للأحداث المرافقة لحالة الشهيد أحمد نصر جرار، مشاركة فلسطينيين من فلسطين المحتلة عام 1948 في أعمال المقاومة، وتحديدًا حالة عبد الكريم عاصي، وبما يستدعي من الذاكرة عملية الشبان الثلاثة من أم الفحم في المسجد الأقصى في تموز/ يوليو 2017، وحالة الشهيد نشأت ملحم في كانون ثاني/ يناير 2016.

لقد حملت حالة الشهيد أحمد نصر جرار، وما رافقها من أعمال مقاومة، وتفاعل جماهيري، كل ملامح أعمال المقاومة التي شهدتها الهبات الفلسطينية منذ أواسط عام 2014. كما عانت من الصعوبات ذاتها، سواء تلك التي تواجه المقاومة الشعبية الجماهيرية، أو التي تواجه المقاومة المسلحة، ولكنها في النتيجة لم تكن طفرة، وإنما حلقة في سلسلة ممتدة، وأكثر سعة، وعلى نحو تتحسب له دولة الاحتلال، وتُقدّر بأنه تحدّ حقيقي، وينذر باحتمالات انفجار أوسع.[52]

[50] حزما: استشهاد الضابط في المخابرات الفلسطينيّة مازن حسن عريبة، صحيفة عرب 48، 3 كانون أول/ ديسمبر 2015، https://goo.gl/EUe7G1

[51] أمجد السكري.. عسكري برتبة شهيد، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2 شباط/ فبراير 2016، https://goo.gl/k16NXX

[52] إسرائيل تخشى "مهندسا جديدا" في الضفة الغربية، مصدر سابق.